

## الأرثوذكسيون في أميركا الشمالية (بقلم المطران جورج خضر)

النهار — السبت في ١٨ تشرين الأول ٢٠٠٣

الأسقف بوصفه الجديد يُنصَّب على منطقة محددة جغرافياً ويحمل لقبه اسم مدينة أميركية أو كندية. يرسم وينصب هناك ويختار من كهنة الأبرشية هناك. إذا تعذر وجود مرشحين أكفاء من كهنة الأبرشية يؤخذ من الوطن الأم. من الواضح طبعاً أن رئيس الكهنة في القديم كان يختار من كهنة الأبرشية.

الجديد أننا أنشأنا مجمعاً محلياً (أو إقليمياً) أعضاؤه الآن أربعة يعيشون في الولايات المتحدة وهذه النواة تأتي بالأساقفة الجدد إذ لا بد من التوسع والإكثار من رؤساء الكهنة.

الجدد من ينتخبهم؟ ما رأيناه حفاظاً على الوحدة بين هذه الأبرشية المتجددة والكنيسة الأم أن ينضم إلى المجمع المحلي (الأميركي) ثلاثة مطارنة من الوطن لإجراء انتخاب لكل أسقف جديد.

يبقى أن "تكون قرارات المجمع الأنطاكي المتعلقة بالعقيدة والليتورجيا والأسرار والعلاقات مع الكنائس المستقلة والسياسة المسكونية المتعلقة بالكيانات المسيحية وغير المسيحية ملزمة للأبرشية".

\*\*\*

الشيء الجديد القديم أننا دفنا في أميركا الأسقف المعاون الذي لم يكن له منطقة يرعاها بمسؤوليته. الأسقف المعاون أو الفخري "بدعة" نشأت في الشرق والغرب معاً وما من شك أنها نشأت عن حاجة المطران لإجراء مراسيم هنا وهناك ويقوم بالمسؤوليات باسم الأصيل. إلا أن اللاهوتيين وعلماء القانون منذ بضع من السنين أخذوا يتذكرون أن المسيحية لا تعرف أسقفًا بالمعنى المطلق ولكنها تأتي بأسقف على أرض محددة ويرتبط به شعب محدد. فهو راع لناس وليس مبعوثاً لـ"معلمه". بكلام أقرب إلى الفلسفة ليس من أسقف يحمل أسقفية كجوه في ذاته. إن مدلول الأسقف وظيفته بمعنى انه يتحرك إلى مؤمنين يعيشون على أرض واحدة كما يقول القديس قيريانس القرطاجي بمعنى التماسك بالإيمان والشورى في هذه الهيئة الأخوية المسماة مجمعاً.

وإذا كان الأسقف لا يعلو رأسه احد فمن الواضح انه ليس من أسقف خاضع ترتيباً لأسقف آخر. إذا كان الأساقفة إخوة معنى ذلك أنهم يتساوون في الكرامة وان كلا منهم يحمل مسؤوليته كاملة. ولا يعلو رأسه إلا الله. لا شيء يقيد الأسقف مثل كونه خاضعاً لله لأن الله كلمته ولأنه تكلم بالتراث والقانون الكنسي. وهذه كلها مقيدة لرئيس الكهنة. والتقيد الأخوي هو في الشورى المنظمة أي تلك التي يشرف عليها البطريرك أخوا أكبر لا يتم شيء بلا أمره وهو لا يقوم بشيء لا يرتضيه إخوته المطارنة.

هل سينظر الكرسي الأنطاكي بوضع الأساقفة العديدين الذين هم مساعدون في البطريركية أو المطرانيات بحيث تسند إليهم أرض معينة؟ لقد فتحت أبرشية أميركا الشمالية نافذة على تفكير كهذا.

التنظيم القديم المتجدد اليوم ليس بحد نفسه سوى وعد. ليس من ترتيب قانوني في الكنيسة يساعد على تدفق الحياة الأبدية فيما بيننا. هذه هبة من هبات الروح الإلهي الذي يأتي بناس جدد قد لا يكونون في مصف الإكليروس. المهم في الوطن وديار الاغتراب أن ننهض بالقداسة وهي النهضة ثم أن نتوثب منها إلى الفكر الباعث بدوره إلى الحياة. المهم المهم أن يتجدد كل شيء بدءاً بحياة الصلاة المتركة على الأصول وآباء روجيين يحيا الله فيهم حتى تبدو كنيسة المسيح جميلة تنزل خلابتها على البشر.

\*\*\*

النص مجرد إمكان ولكن ما جرى عندنا الأسبوع الماضي كان فرح التمكين لعلاقتنا بمن يحمل المسيح إلى القارة الأميركية وعيناه إلى إنطاكية "التي دعي فيها التلاميذ مسيحيين أولاً" وكان تذكيراً لنا بخدمتنا لهم. كان همنا أن نبقي واحداً معهم في الروح والعمل. لقد أعطونا الكثير بمجرد أمانتهم لكنيسة المشرق وساعدونا على أن نشق بهم وان يقفوا بنا. اتسعت قلوبنا بحبنا لهم وترحابهم بأن نزورهم حاملين بساطة المسيح وصمودنا التاريخي. ولن نحتاج إلا إلى هذه المحبة المتبادلة التي ليس فيها منافع في الأرض. نحن وإياهم مسعى واحد إلى الملكوت الإلهي الذي يكفي كل إنسان يريد أن يبني في الفرح.

الحديث هو عن تنظيم الأرثوذكسيين في الولايات المتحدة وكندا التابعين للكرسي الأنطاكي. معظمهم عرب من هذه المنطقة وبعضهم من الذين اعتنقوا الإيمان الأرثوذكسي من الأجانب. عقدوا برناسة المطران فيليب صليباً مؤتمرياً في صيف ٢٠٠١ والصيف الأخير طالبوا فيهما أن تتحول أبرشيتهما إلى أبرشية ذات إدارة ذاتية. هكذا ترجمنا كلمة autonomy التي استعملها لانعدام وجود كلمة عربية تحافظ على الجذر اليوناني للكلمة. واللفظة في الاصطلاح الأرثوذكسي تدل على تنظيم كنسي مرتبط بإحدى البطريركيات القديمة ويتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي. وهذا ما يميزه عن الكنيسة المستقلة التي تحكم نفسها داخلياً وفي علاقاتها بالكنائس الشقيقة والكنائس الأخرى والأديان.

هذا النظام الذي هو منزلة بين المنزلتين ظهر بنوع خاص عند اندلاع الثورة البلشفية حيث تعذر على الكنائس القائمة خارج الاتحاد السوفياتي على بقاء اتصالها بموسكو مثل كنيسة فنلندا وكنيسة بولونيا أو ظهر لأسباب تاريخية أخرى في كنيسة جزيرة كريت المرتبطة بالقسطنطينية.

طبعاً لم يكن أحد يحلم أن يؤلف عرب أميركا كنيسة مستقلة بالمعنى القانوني الكامل لأن هذه يكون عليها أن تيسر سلطتها على الأرض الأميركية كلها بصرف النظر عن الأصول القومية أو اللغوية. وهذا أمر تتدارسه الكنائس الأرثوذكسية إلى اليوم وتحول دونه موانع كثيرة ويتطلب توافقاً بين الكنائس القديمة وهو موضوع على جدول الأبحاث للمجمع الأرثوذكسي العالمي المنوي عقده وكل الأدلة تشير إلى انه مرجحاً في الوقت الحاضر وعلى أن كل قوم يتبعون كنيستهم الأم سواء أكان في شكل أبرشيات مختلفة تربطها رئاسة أسقفية واحدة كما عند اليونانيين أو في شكل أبرشية واحدة كما هي حال الأنطاكيين.

ولكن نوعاً من "الذاتية" روي انه لا بد منه فالشبيبية التي أينعت هناك تأمرت على بقاء حنين لأوطان ذويها. وبدت ضرورة التأقلم بالحضارة الأميركية والتعاون بين الأقوام المختلفة والتعبير عن العقيدة الواحدة. وهذا التقارب الوجداني ظاهر في الجامعات وفي أماكن التلاقي الاجتماعي. غير أن وقت الانصهار لم يحن وقد لا يحين كلياً. فما من شك في ان اللغات الأصلية باقية ولا سيما أن المسنين من أبناء شعبنا والوافدين الجدد يريدون الحفاظ على اللغة العربية في الصلاة. وهي إلى حد محافظ عليها.

\*\*\*

عند ضغط هذه العوامل وجد الأرثوذكسيون الأنطاكيون أنفسهم في جدلية تجديد ما من جهة والمحافظة على طابعهم الأنطاكي من جهة. ومن يحمل هذه الجدلية بصورة مثلى هو رئيسهم الروحي المطران فيليب صليباً الأصلي في أنطاكيته وحسه المشرقي والبالغ أعماق الثقافة الأميركية. وتالياً هو حفيظ التراث ومتوثب إلى الآتيات. وليس المجال هنا للتبسط بفتح تلك القارة على إيمان كنيسته. ولكن كيف يترجم ما يصبو إليه وما تصبو إليه الرعية بلغة قانونية؟

كان لا بد ان يترجم هذا الهاجس المزدوج تعبيراً قانونياً. هذا ما فعله المجمع المقدس الذي انعقدت مرحلة منه في دمشق بدءاً من السابع من تشرين الأول وخرج بتأكيد "أن الأبرشية الأنطاكية الأرثوذكسية في أميركا الشمالية لها إدارتها الذاتية وستبقى كذلك من ضمن نطاق سلطتها الحالية (الولايات المتحدة الأميركية وكندا) فتشكل جسماً أنطاكياً موحداً". تحاشينا الالتباس الذي يمكن أن ينشأ في العقول من جراء استعمال كلمة autonomy وأكدنا استمرارية الطابع الأنطاكي لهذه الأبرشية. ومن الواضح طبعاً انه يوفق بين النظام الأساسي للبطريركية ودستور الأبرشية ونظامها الداخلي. صارت تحكم الوضع عبارة "إدارة ذاتية" بالمدلول الذي يحتويه القرار المجمع.

تنظيمياً هذا الترتيب ذو شقين: الأول متعلق بالمتروبوليت والثاني متعلق بالأساقفة المحليين. المتروبوليت يبقى عضواً في المجمع الأنطاكي المقدس ويؤتى به وفق الترتيب الموضوع اليوم أي ترشحه الجمعية العمومية للأبرشية بموازرة ما سميناه المجمع المحلي للأبرشية الذي يؤلفه الأساقفة الذين كانوا معاونين للمتروبوليت وبتوا الآن أساقفة على الأرض.